

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[54] فيا له من حديث مهمّ وقيم ذلك الذي يوضّح موقعنا في عالم الوجود من خالق الوجود، ويكشف الكثير من الغموض، ويجيب على الكثير من الأسئلة. نعم، فالقائم بذاته غير المحتاج لسواه، واحد أحد، وهو الأ تعالى، وكلّ البشر بل كلّ الموجودات محتاجة إليه في جميع شؤونها وفقيرة إليه ومرتبطة بذلك الوجود المستقل بحيث لو قطع إرتباطها به لحظة واحدة لأصبحت عدم في عدم، فكما أنّّه غير محتاج مطلقاً، فإنّ البشر يمثّلون الفقر المطلق، وكما أنّّه قائم بذاته، فالمخلوقات كلّها قائمة به تعالى، لأنّه وجود لا متناهي من كلّ ناحية، وواجب الوجود في الذات والصفات. ومع حال كهذه، ما حاجته تعالى لعبادتنا؟! فنحن المحتاجون والفقراء إلى الأ ونسلك سبيل تكاملنا عن طريق عبادته وطاعته، ونقترب بذلك من مصدر الفيض اللامتناهي، ونغترف من أنوار ذاته وصفاته. وفي الحقيقة فإنّ هذه الآية توضيح للآيات السابقة حيث يقول تعالى: (ذلكم الأ ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير). وعليه فإنّ البشر محتاجون له لا لسواه، لذا فيجب عليهم أن لا يطأطئوا رؤوسهم لغيره تعالى، وأن لا يطلبوا حاجاتهم إلّاّ منه تبارك إسمه، لأنّ ما سوى الأ محتاج إلى الأ كحاجتهم إليه، وحتّى أنّ تعظيم أنبياء الأ وقادة الحقّ إنّما هو لأنّهم رسله تعالى وممثّلوه، لا لذواتهم مستقلة. وعليه فهو "غني" كما أنّّه "حميد" أي إنّّه في عين إستغنائه عن كلّ أحد، فهو رحيم وعطوف وأهل بكل حمد وشكر، وفي عين أنّّه أرحم الراحمين، فهو غير محتاج لأحد مطلقاً. الإلتفات إلى هذه الحقيقة له أثران إيجابيان على المؤمنين، فهي تستنزلهم من مركب الغرور والأنانية والطغيان من جانب، وتنبيههم إلى أنّهم لا يملكون شيئاً من أنفسهم يستقلّون به، وأنّهم يؤتمنون على كلّ ما في أيديهم من جانب آخر، لكي لا